السيرة 16 مسجد قباء

لحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي الكريم المصطفى، طلابنا الكرام أينما حالتم، أحييكم بتحية الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. طريق الهجرة وهو الطريق الذي سلكه النبي صلى الله عليه وسلم عندما خرج من مكة، واتجه صوب المدينة مهاجرا إليها، وبرفقته أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وقد كان جمهور الأنصار من أهل المدينة قد تلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظاهر المدينة في الحرة، فرحين به مسلمين عليه وعلى صاحبه. فعادل الرسول ذات اليمين حتى نزل بقباع. وقام في دار بني عمرو بن عوف، وذلك في يوم الإثنين ال12 ليلة خلَت من شهر ربيع الأول، وكان نزوله عند كلثوم بن الهدم شيخ بني عمرو بن عوف، وماكث عنده أربعة أيام يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وقيل بضع عشرة ليلة، وأسس خلالها بقباء المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه. وقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم أساس المسجد، وقام بالمشاركة الشخصية في بنائه، وسارع الصحابة المهاجرون منهم والأنصار في إعماره، حتى قامت بنيته، وعلى كعبه. وجاء في كتاب أخبار المدينة أنه كان لكلثوم بن هدم بقوباء مربد، والمربد هو الموضع الذي يبسط فيه التمر ليبيس، فأخذه منه الرسول صلى الله عليه وسلم، فأسسه، وبناه مسجدا، كما روى الطبراني في معجم الكبير عن الشموس، عن الشموس بنت النعمان قالت نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم وأنزل. وأسّس هذا المسجد مسجد قباء. فرأيته يأخذ الحجر أو الصخرة حتى يحصره الحجر، أن يقيمه، ويضمه إليه لثقله، وأنظر إلى بياض التراب على بطنه أو سرته، فيأتي الرجل من أصحابه ويقول بأبي وأمي يا رسول الله، أعتني أكفك؟ فيقول لا خذ مثله. ويرجح أن يكون المسقط الأصلي عبارة عن قطعة أرض مربع أحيطت بسور من الحجر أخذ من الحر المجاورة، ومن المؤكد أنه لم يكن بي أروقة مغطاة عند الإنشاء، حيث إن الفترة التي قضاها الرسول صلى الله عليه وسلم في قبائها كانت قصيرة ولم تتجاوز الأربعة أيام، ولا تسمح بعمل سقيفة، إذاً، فمسجد قباء أول مسجد بني في الإسلام. وأول مسجد بني في المدينة النبوية. ومن حوث الأولوية، فإن المسجد الحرام أول بيت وضع للناس، ومسجد قباء أول مسجد بناه المسلمون. وهو أيضا أكبر مساجد المدينة بعد المسجد النبوي. يقع المسجد إلى الجنوب من المدينة المنورة، وقد اهتم المسلمون بعمارة المسجد في العصور التالية فجدده عثمان بن عفان ثم عمر بن عبد العزيز في عهد الوليد بن عبد الملك. وتتابع الخلفاء من بعدهم على توسيعه وتجديده ببنائه. وقام السلطان قايتباي بتوسعته ثم تبعه السلطان العثماني محمود الثاني وابنه السلطان عبد المجيد الأول. حتى كانت التوسعة الأخيرة في عهد الدولة السعودية. لمزة قباء فضل عظيم، فقد ورد فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم.

وسلممن تطهر في بيتـه، ثم أتى مسـجد قبـاه، وصـلى فيـه، كـان لـه كـأجر عمـرا، وولـد في صحيح البخاري، وصحيح مسلم أن النبي صلى الله عليـه وسـلم كـان يـأتي مسـجد قبـاء كـل سبت ماشي، وراكباً، فيصلي فيه ركعتين. وقد أقام النبي صـلى الله عليـه وسـلم في بيت أبي أيوب الأنصاري، وكان رجلاً عاقلاً، ما زحم الناس، بل ذهب إلى الرحل، وأدخله إلى بيتـه.

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم أين راح لي؟ قالوا احتمله أبو أيوب إلى بيته، فقال المـرء مع رحله. ولو تأملنا قليلاً للاحظنا موقفين. الأوس والخزرج، استمروا في حرب لمدة 100 سنة أو أكثر، ومـا انتهت إلا قبـل مجيء رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم بخمس سـنوات. وكان كفر صيرهان يتسابقان فيما يفعلانه إلى رسول الله صلى الله وسـلم، وجـاء رسـول الله على بيعة منهما معا عند العقبة. فعندما يأتي المدينة وهما متنافسان عند من ينزل النزل عنـد هؤلاء؟ قالوا والله آثارهم علينا. ونزل عنـد هـؤلاء قـالوا والله آثـارهم من أول الأمـر علينـا، فيوجد الصدع لأول لحظة، فكان الأفضل أن يترك الاختيار للمـأمورة، وإن كـانوا أرادوا أن يعتبوا فليعتبوا على الناقة، وهي التي نزلت حيث أمـرت، فطـابت النفـوس بـذلك، ثم المكـان الذي نزل فيه بيوت متجاورة. ينزل عنـد من منهم لـو اختـار بيتـا على بيـوت الحي؟ الآثـار أيضا تساؤلا لماذا اختار بيت فلان؟ لكن عندما تكون من أحدهم بـدون أن يشـعر رسـول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يشعر الجماعة، ويلتفت صلى الله عليه وسـلم أين راح لي؟ ثم قـال المرء مع رحله. من هو هذا؟ إنه أبو أيوب، وينكشف الغيب عن سـر وعن معجـزة أخـرى. ما هو سر بيت أبي أيوب؟ المصادر؟ المصـادر تقـول أن تـاريخ بيت أبي أيـوب يرجـع إلى زمن ما قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلـك حين جـاء تبـع من اليمن واسـتولى على المدينة. وخلف ولده ملكا عليهـا. وفي يـوم من الأيـام، ذهب هـذا الولـد، وصـعد النخـل ليجني منها، فجاء صاحبها وضربه بالمنجل فقط له، وقـال إنمـا الثمـر لمن أبـر، فلمـا رجـع الملك وجـد ولـده قـتيلا، فـأراد أن ينتقم لولـده، فقاتـل أهـل المدينـة، فلم يغلبهم، وحاصـرها، فاستمر الحصار طويلا حتى نفذ. زاد الملك والجيش. فقـال أهـل المدينـة فيمـا بينهم والله مـا أنصفنا عدونا نقاتلهم، حـتى إذا أتى الليـل إلى بيوتنـا وزوجاتنـا وطعامنـا وفراشـنا وعـدونا، يبيت طاويا جائعا، ونصبح نقاتل، أخرجوا إلى الجيش طعـامهم، فقـال الملـك واعجبـا لأهـل هذه القرية، نقاتلهم نهـارا، ويقروننـا ليلا أن يعطوننـا الطعـام ليلا. فقـال الملـك إن أمـر هـذه البلدة العجيب، فخرج إليه حبران. ما تريد يا أيها الملك من هذه القرية؟

وسلم من تطهر في بيته، ثم أتى مسجد قباء، وصلى فيه، كان له كأجر عمرا، وولد في صحيح البخاري، وصحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتي مسجد قباء كل سبت ماشي، وراكبا، فيصلي فيه ركعتين. وقد أقام النبي صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب الأنصاري، وكان رجلا عاقلا، ما زحم الناس، بل ذهب إلى الرحل، وأدخله إلى بيته. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم أين راح لي؟ قالوا احتمله أبو أيوب إلى بيته، فقال المرء مع رحله. ولو تأملنا قليلا للاحظنا موقفين. الأوس والخزرج، استمروا في حرب لمدة 100 سنة أو أكثر، وما انتهت إلا قبل مجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنوات. وكان كفر صيرهان يتسابقان فيما يفعلانه إلى رسول الله صلى الله وسلم، وجاء رسول الله على بيعة منهما معا عند العقبة. فعندما يأتي المدينة وهما متنافسان عند من ينزل النزل عند هؤلاء؟ قالوا والله آثارهم علينا. ونزل عند هؤلاء قالوا والله آثارهم من أول الأمر علينا، فيوجد الصدع لأول لحظة، فكان الأفضل أن يترك الاختيار للمأمورة، وإن كان عر آ، وإن كانوا أرادوا أن يعتبوا فليعتبوا على الناقة، وهي التي نزلت حيث أمرت، فطابت النفوس

بذلك، ثم المكان الذي نزل فيه ب بيوت متجاورة. ينزل عند من منهم لو اختار بيتا على بيوت الحي؟ الآثار أيضا تساؤلا لماذا اختار بيت فلان؟ لكن عندما تكون من أحدهم بدون أن يشعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يشعر الجماعة، ويلتفت صلى الله عليه وسلم أين راح لي؟ ثم قال المرء مع رحله. من هو هذا؟ إنه أبو أيوب، وينكشف الغيب عن سر وعن معجزة أخرى. ما هو سر بيت أبي أيوب؟ المصادر؟ المصادر تقول أن تاريخ بيت أبي أيوب يرجع إلى زمن ما قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك حين جاء تبع من اليمن واستولى على المدينة. وخلف ولده ملكا عليها. وفي يوم من الأيام، ذهب هذا الولد، وصعد النخل ليجني منها، فجاء صاحبها وضربه بالمنجل فقط له، وقال إنما الثمر لمن أبر، فلما رجع الملك وجد ولده قتيلا، فأراد أن ينتقم لولده، فقاتل أهل المدينة، فلم يغلبهم، وحاصرها، فاستمر الحصار طويلا حتى نفذ. زاد الملك والجيش. فقال أهل المدينة فيما بينهم والله ما أنصفنا عدونا نقاتلهم، حتى إذا أتى الليل إلى بيوتنا وزوجاتنا وطعامنا وفراشنا وفراشنا وعدونا، يبيت طاويا جائعا، ونصبح نقاتل، أخرجوا إلى الجيش طعامهم، فقال الملك واعجبا لأهل هذه القرية، نقاتلهم نهارا، ويقروننا ليلا أن يعطوننا الطعام ليلا. فقال الملك إن أمر هذه البلدة العجيب، فخرج إليه حبران. ما تريد يا أيها الملك من هذه القرية؟ قال أريد أن أهدمها. قال لن تقدر، ولن تسلط عليها، لأنها مهاجر آخر نبي يأتي إليها، قال وبما تشيران علي؟ قال أن تبني له بيتا إذا ما نزل فيه، فبنى البيت وكتب كتابا، وأعطاه لأحد أبناء الحبرين، وكان من نسلهما أبو أيوب الأنصاري. فجاء النبي صلى الله عليه وسلم نزل في البيت الذي بناه الملك لينزل فيه النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاء المدينة. ولجرى يا إخواني سنة الأنبياء، وهي وسيلة انتشار الدعوة ووصولها إلى الأمم، فالخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام هاجر إلى مصر، ثم إلى الحجاز، ثم قال إني ذاهب إلى ربي سيدين.

وموسى عليه الصلاة والسلام، هاجر وخرج مرتين. المرة الأولى حين أتاه الآتي وقال إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك، فاخرج إني لك من الناصحين. فخرج خائفا يترقب، ثم بعد ذلك رجع وتحمل الرسالة، وجاء إلى فرعون، وخرج مهاجرا ببني إسرائيل. ولوط عليه السلام أيضا، خرج وهاجر، وترك القرية، وكان من أمرها مكان. فجرت سنة نبينا صلى الله عليه وسلم ليست بدعة، وليست جديدة، بل هي على سنن الرسل من قبله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. إلى هنا، نكون قد أنهينا الدرس الأخير من هذه المرحلة الأولى، السداسي الأول. كما قلنا في بداية الأمر، سيكون المقرر ما نتناوله معا في الحصص في حصص الدرس، وأيضا المقرر مع الكتاب الإثنان إن شاء الله. راجعوا جيدا. دمتم في رعاية الله، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.